بقلم
رئيس التحرير

# سلام الميلاد وسط المخاطر


د. ق. أندريه زكي

رئيسُ الطائفةِ الإنجيليَّةِ بمِصْر

رئيسُ الهيئةِ القبطيَّةِ الإنجيليَّةِ للخدماتِ الاجتماعيَّةِ


بداية عام جديدٍ، واحتفال بفرحة ميلاد السيد المسيح، تحمل لنا الأمل والرجاء، حتى ونحن نحتفل وسط الجائحة، التي تنهي عامها الثاني. عامان شهد خلالهما العالم بأسره تطورات كثيرة وعديدة جراء متحورات فيروس كورونا. لكن نشكر اللّٰه، من أجل ما أنتجه العقلُ البشري من تقنيات ساعدت في التوصل إلى اللقاحات المضادة للفيروس التي ساهمت في إنقاذ الكثيرين، وأن اللقاح المصري أيضًا دخل في مرحلة التجارب السريرية. ونشكر اللّٰه أيضًا على القيادة السياسية الحكيمة لبلادنا والتي تعاملت مع أزمة كورونا بحكمة، واستطاعت أن تجنب الكثيرين المخاطر الصحية والاقتصادية للجائحة.

## حياة وسط المخاطر

لا شك أن هذه المتغيرات قد ألقت بظلالها على الجميع، وتسببت لنا جميعًا في الشعور بالمخاطر؛ خطر فقد الأحباء والقريبين، والذي تألم به كثيرون. خطر التقلبات الاقتصادية التي جعلت الكثيرين غير قادرين على مواجهة تحديات الحياة اليومية. شعور دائم لدى البعض بخوف

مبالغ فيه وتوجس مستمر. خوف من المجهول، وتشوش بين المخاوف الحقيقية وغير الحقيقية.

هذه المخاطر غيرت نمط الحياة على المستوى العالمي حتى أننا اعتدنا الحياة وسط المخاطر اليومية. صحيح أن العاصفة هدأت إلى حدٍّ ما، ولكن مازالت المخاطر المفاجئة تظهر للسطح كل يوم. لكن رغم هذه المخاطر أتأمل في ميلاد السيد المسيح، الذي يمثل رسالة أمان وسلام وراحة؛ فالمخاطر التي أحاطت بقصة الميلاد لا تقل عن المخاطر التي نواجهها اليوم في حياتنا اليومية.

## حضور الخطر وحضور الله في رحلة الميلاد

يصور لنا إنجيلا متى ولوقا عن أحداث ميلاد السيد المسيح منذُ البداية، ويصور لنا البشير متى الأحداث والمطاردات التي أحاطت بميلاد السيد المسيح. وسأذكر في هذا المقال أربعة مخاطر أحاطت بميلاد السيد المسيح.

### الخطر الأول:

**انفصال يوسف النجار عن القديسة العذراء مريم (إنجيل متى ١: ١٨ – ١٩)**

كان يوسف رجلاً بارًا كما يصفه إنجيل متى وفوجئ أن خطيبته مريم، التي أوشك على الزواج منها، حامل في طفل! وفقًا للشريعة اليهودية، كان يوسف أمام قرار واحد، هو كشف الأمر لإنزال العقاب بالشريكة الخائنة والذي كان يصل إلى الموت رجمًا كما جاء في (سفر التثنية ٢٢: ٢٣ - ٢٤). لكنَّ يوسف قرر أن ينفصل عن العذراء مريم دون فضحها «أراد تخليتها سرًّا».

لكن في اللحظة المناسبة يتدخل الله، ويرسل ملاكًا يشرح الأمر ليوسف النجار: مريم عذراء ولم تخطئ، بل هي حبلت بشكل معجزي فائق للطبيعة؛ لأن هذه هي إرادة الله. تدخل الله لينقذ القديسة العذراء مريم ويحمي يوسف النجار من مخاوف غير حقيقية. وبالتالي كان هذا إنقاذًا لأسرة السيد المسيح من مخاطر عديدة قد تحدث بسبب هذا الخوف.

## الخطر الثاني:

**خطر الموت على يد هيرودس الملك (إنجيل متى ٢: ٧ – ١٢)**

حينما رأى هيرودس الملك أن المجوس قد جاءوا ليبحثوا عن الطفل المولود «ملك اليهود» خاف جدًّا، ودبر مؤامرة لقتل الطفل يسوع. وحتى يعرف مكان السيد المسيح، أوهم هيرودس المجوس بأنه يريد أن يذهب ويسجد له، حتى يخبروه عن مكان الطفل عندما يجدونه. نحن إذًا أمام مكيدةٍ هدفها قتل الطفل يسوع بمجرد ولادته، ويدبر هذه المكيدة «هيرودس»، صاحب أكبر قوة في البلاد ضد طفل صغير.

لكن الأكيد هو أن الحياة بحسب خطة اللّٰه لا تفشل أبدًا. لذا يتدخل اللّٰه في الوقت المناسب أيضًا، ليحقق خطته وقصده ومشيئته، ويكشف مؤامرة هيرودس ويطلب من المجوس ألا يرجعوا إليه، وبالتالي لم يعرف هيرودس مكان الطفل يسوع. يخبرنا التاريخ أن هيرودس هذا كان قاسيًا مجردًا من المشاعر الإنسانية حتى أنه قتل اثنين من أولاده، لكن رغم هذا يتدخل اللّٰه ليحمي الطفل يسوع وأسرته من بطش هيرودس.

## الخطر الثالث:

**خطر قتل أطفال بيت لحم على يد هيرودس الملك (إنجيل متى ٢: ١٦ – ١٧)**

يخبرنا الكتاب المقدس عن غضب هيرودس من تصرف المجوس الذين استجابوا للملاك ومضوا إلى بلادهم دون أن يرشدوه لمكان الطفل. وامتزج غضب هيرودس بالخوف من الطفل يسوع باعتباره المسيا «الملك». فأمر هيرودس بقتل كل أطفال بيت لحم دون السنتين، لكي يضمن بذلك أن يسوع قد مات. الغضب والخوف قادران أن يفقدا الإنسان عقله، فيصير هو نفسه خطرًا على المحيطين به بسبب مخاوفه غير الحقيقية.

مرةً أخرى نرى اللّٰه يتدخل وسط الخطر؛ فيظهر الملاك في حلم، ويأمر يوسف أن يأخذ الصبي وأمه ويهرب إلى مصر، لتتحقق نبوءةُ هوشع النبي «من مصر دعوت ابني» (سفر هوشع ١١: ١).

بوركت بلادُنا مصر بأن تكون مأوى آمنًا للسيد المسيح، كما كانت دائمًا لأنبياء كثيرين لجأوا إليها بدايةً من إبراهيم أبي الآباء. وحمى اللّٰه العائلةَ المقدسة في مصر، وبقيت فيها لسنوات، ولا تزال آثارهم باقية إلى الآن في أماكن عديدة تفتخر بها بلادنا الحبيبة.

## الخطر الرابع:

### أرخيلاوس ابن هيرودس (متى ٢: ١٩ – ٢٣)

حينما مات هيرودس الملك، أخذ يوسف العذراء مريم والطفل يسوع وعادا إلى أراضي اليهودية. ولكن ما أن همُّوا بالدخول للأرض حتى رأى كيف أن أرخيلاوس، ابن هيرودس، أصبح ملكًا خلفًا لوالده. وكان معروفًا عن آرخيلاوس أثناء فترة حكم أبيه أنه شخص قاسٍ ومتسلطٌ، فخاف يوسف النجار أن يبطش بهم أرخيلاوس.

وهنا، لا يقول الكتاب المقدس بأن اللّٰه كلم يوسف من خلال ملاك كما في المرات السابقة، بل أن اللّٰه أنذر يوسف بطريقة غير مُعلنة. فحوّل يوسف مسار العائلة المقدسة من العودة لأراضي اليهودية إلى الشمال قاصدًا مدينة الناصرة. ولاحقًا، نعرف من التاريخ كيف قام الإمبراطور الروماني بنفي وعزل أرخيلاوس حتى موته. وهكذا، يتدخل اللّٰه بطرق غير معلنة لينقذ العائلة المقدسة من شرور عديدة أحاطت بهم.

## حضور الخطر وحضور اللّٰه في رحلتنا

ربما لا تختلف المخاطر التي نواجهها حاليًا عن تلك التي أحاطت بميلاد السيد المسيح، وتسببت هذه المخاطر المفاجئة في تغيرات عديدة لكل خطوة من خطوات العائلة المقدسة، وكذلك تسببت مخاطر جائحة كورونا في تغيرات مفاجئة وسريعة. لكننا رأينا أيضًا كيف كان اللّٰه حاضرًا في وسط كل هذه المخاطر، وكيف كان يتدخل في اللحظة المناسبة، بطرق متعددة ليرشد يوسف النجار ويقوده نحو السلام والأمان.

يتدخل اللّٰه وسط المخاطر ليحقق مقاصده الصالحة دائمًا نحو شعبه. اللّٰه لا يتدخل بشكل عشوائي، ولا بشكل غير مفهوم بل دائمًا لديه خطة، ومقاصده الصالحة دائمًا نحو خليقته لا تسقط أبدًا. تعلمنا هذا

من كلمة اللّه فهي الملجأ الآمن، إذ تعلن لنا عن طرق اللّه من نحونا، وعن الخير الذي يريده اللّه لنا نحن البشر.

إن حياتنا اليوم هي نموذج مصغرٌ لرحلة الميلاد، التي كانت مليئة بالمخاطر وبالتحديات؛ بعض هذه المخاطر كان حقيقيًّا، ولكن حتى المخاوف المُبالغ فيها التي تبناها هيرودس كنت تمثل خطرًا محدقًا بالسيد المسيح. وكما رأينا حضور اللّه في كل تفاصيل قصة الميلاد، ندرب حواسنا على إدراك حضور اللّه في وسط المخاطر في رحلة حياتنا. هذا الإدراك كفيلٌ بأن يهدئ من روعنا ومخاوفنا. لأن اللّه أعظم من الظروف، والمخاطر، والمخاوف.

إذا كنا نؤمن أن اللّه كليُّ السلطان على الظروف، فلن نخاف. وفي نفس الوقت، لأن اللّه -العظيم هذا- يحبنا! وبالتالي، كل ما يحدث لنا هو لخيرنا في نهاية الأمر. حينما نرى الصورة كاملة، سندرك معية اللّه، ونرى آثار أقدامه تسير بجانبنا طوال الرحلة والمسيرة. فقط علينا أن نميز مشيئة اللّه لحياتكنا، والأذن المصغية لصوت اللّه، والملتصقة بكلمته، ستدرك مشيئته. ومن يميز مشيئة اللّه لحياته يعيش في سلام داخلي وراحة داخلية؛ لأنه يعلم أنه يفعل ما يجب أن يفعله. فلا يوجد سلام يفوق هذا السلام الذي يمنحه اللّه، خصوصًا، وسط مخاطر الحياة».